فهرست محتويات بحث

مناهج البحث العلمي عند العرب في الدراسات الاجتماعية

ت	الموضوعات	من ص	إلى ص
١	المقدمـــــة	١	٤
٢	الفصل الأول – المنهج التاريخي	٤	٥
٣	المبحث الأول-أراء الفارابي والغزالي بالمنهج	٥	٦
٤	المبحث الثاني-أبن خلدون والمقريزي-رواد المنهج التاريخي	٦	٩
٥	الفصل الثاني – المنهج المقارن	٩	٩
٦	المبحث الأول- كيف أعتمد الفارابي والغزالي والماوردي هذا المنهج	٩	١٠
٧	المبحث الثاني- رأي أبن خلدون وعلماء الغرب بالمنهج المقارن	١١	١٢
٨	الفصل الثالث – المنهج الاستقرائي	١٣	١٣
٩	المبحث الأول- رواد المنهج الاستقرائي	١٣	١٤
١٠	المبحث الثاني- استخدام أبن خلدون وأبن طفيل والماوردي لهذا المنهج	١٤	١٥
١١	الفصل الرابع – منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة	١٦	١٦
١٢	المبحث الأول- المفكرون العرب واستخدام المنهج لاشتقاق وجمع الحقائق	١٦	١٧
١٣	المبحث الثاني- أبن خلدون ودور الباحث في استخدام المنهج المذكور	١٨	١٩
١٤	المصادر (العربية والاجنبية)	٢٠	٢٢

مناهج البحث العلمي عند العرب في الدراسات الاجتماعية

د.فريد علي امين

المقدمة

تتميز البحوث الاجتماعية على اختلاف أنواعها بأهمية كبيرة في كافة الأدوار الاجتماعية ، فالعلم كان ولا يزال يضطلع بدور متميز في حياتنا اليومية ، لأنه يؤدي إلى إحداث تغيرات جذرية في تطور المجتمعات.

فالدراسة العلمية للإنسان والمجتمع هي دعامة أساسية من دعامات التفكير البشري في فهمه لحاضره ومستقبله. وبلاشك فأن البحث العلمي الذي يجري على أساليب علمية سليمة قد أصبح أساسا" لكل تطور تنموي واع تقوم به الدول المتقدمة ، لأن البحث العلمي هو الأساس الذي في ضوئه تستطيع التنمية الاجتماعية من تحقيق أهدافها في تكوين مجتمع يسوده الرخاء والازدهار ويتجسد فيه مبدأ تكافؤ الفرص للمواطنين ليكونوا أداة التغيير والتقدم في المجتمع.

لقد كان بن بطوطة وبن خلدون وبن سينا أول من نادوا بضرورة التزام العالم أو الباحث بمنهجية البحث العلمي التي تتطلب ضرورة الفصل الواضح بين الحقائق والقيم، أي الفصل بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، ومثل هذا الفصل لابد أن يمكن المفكر الاجتماعي من التخصص بوصف الظواهر وتحليلها والربط بينها من أجل تعليل عملية اجتماعية مهمة كالزواج والأسرة والحرب والحضارة والإرث والملكية والدولة والقانون.

إن للبحث العلمي فائدة كبيرة كونه يساعد الباحث على تنمية القدرات الحسية ومعرفة أنواع البحوث والأسس والأساليب التي تقوم عليها، وهذا يكسب الباحث بحد ذاته الخبرات والمهارات المناسبة لتمكينه من القراءة التحليلية الناقدة للبحوث وتقويم نتائجها والحكم عليها .

فالمنهج العلمي في أي علم هو طريقة يصل بها الإنسان إلى اكتشاف الحقيقة لأية ظاهرة من الظواهر السائدة في الطبيعة . ولهذا يعد الاهتمام بالبحث العلمي والعناية به من السمات الأساسية لتقدم ونهوض الشعوب والأمم حيث إن تلك البحوث تقدم حلولا"مناسبة للمشكلات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي تعاني منها الكثير من المجتمعات، كذلك تستخدم لاثبات المعلومات والحقائق والتأكد من صحتها وأنماء المعرفة العلمية وزيادتها(١).

---

(١) كرم، أنطونيوس ، " العرب أمام تحريات التكنولوجيا "، الكويت، عالم المعرفة ، ١٩٨٢، ص ٨.

والبحث العلمي في يومنا هذا أصبح جزء لا يتجزأ من حياة أية أمة حتى بلغ من اهتمام البعض من الحكومات بأن شكلت هيئات متخصصة وأنشأت المجالس القومية للبحوث في مجالات متنوعة (١).

أما العالم " **سكينجر** " فيعرف البحث العلمي على انه نشاط عدد من الأشخاص الذين يبحثون مشكلات حقيقية واقعية محدودة في نطاق نظام معين (٢).

وعرفه " **فان دالين** " بأنه محاولة دقيقة ناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق البشرية وتحيرها (٣). في حين يعرفه " **وتني**" بأنه عملية تقصي عن الحقائق ومعانيها وتطبيقها بالنسبة لمشكلة ما (٤).

وعرفه " **فهمي**" أيضا" بأنه العلم الذي يعني بدراسة قواعد التفكير ويجسد حقيقة مفادها بأن ما يصدق على الكل يصدق على الجزء أيضا"(٥).

أما " **بولنسكي** " فيقول هو استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن تصنيفها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي.وعرفته " **ملحس**" بأنه محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفحصها وتحقيقها بتقص دقيق ونقد عميق ثم عرضها عرضا" مكتملا"(٦).

ونرى " **غرايبة** " يقول بأنه طريقة منظمة أو فحص استفساري منظم لاكتشاف حقائق جديدة من حقائق قديمة ومعرفة العلاقات التي تربط بينها وبين القوانين التي تحكمها (٧).

أما " **البياتي** " فيقول بأنه استخدام الطريقة العلمية في دراسة المشكلات من أجل التوصل إلى حلول مناسبة لها (٨).

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نعرف البحث العلمي تعريفا" إجرائيا" بالقول " انه طريقة منظمة تهدف إلى تفسير أو اكتشاف الحقائق ومعرفة العلاقات والقوانين التي تحكم ظاهرة أو مشكلة ما من خلال استخدام مجموعة من الطرق والأساليب والأدوات التي تساعد على وصف الظاهرة والتحكم بها ومن ثم التنبؤ بمستقبلها".

---

(١) الشيباني ، عمر محمد التومي ، " مناهج البحث الاجتماعي "، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧١، ص ١٤ .

(٢) سكينجر، رودني ، " البحث التربوي أصوله ومناهجه " ترجمة محمد لبيب النجيمي ومحمد منير مرسي ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٤ ، ص ٨ .

(٣) فان دالين، ديولدب، " مناهج البحث في التربية وعلم النفس " ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٩.

(٤) الفوال، صلاح مصطفى، " مناهج البحث في العلوم الاجتماعية " القاهرة ، مكتبة غريب، ١٩٨٢، ص ٣٠-٣٢ .

(٥) فهمي ، سعيد يعرب، " طرق البحث " بغداد ، مطبعة الحكومة، ١٩٧٣، ص ٥٧-٥٨.

(٦) ملحس ، ثريا عبد الفتاح ، " منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين "، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١، ص٣٤.

(٧) غرايبة، فوزي ، " أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والنفسية " عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٧٧، ص٥.

(٨) البياتي ، عبدالجبار توفيق، ورؤوف عبدالرزاق، " مبادئ البحث التربوي لمعاهد المعلمين "، بغداد ، مطبعة وزارة التربية ، ١٩٧٨، ص٤٦.

إن التاريخ الإنساني قد حفظ لنا أسس التفكير والبحث لعدة قرون إذ أن جذور أسس التفكير العلمي ترجع إلى الحضارات الأولى في وادي الرافدين ووادي النيل، فلا يمكن للإنسان أن يتصور أن هناك حضارات دون منهج ، فالمناهج في العصور القديمة وخاصة الفترة التي عاشها البابليون والمصريون القدماء كان اتجاه التفكير فيها اتجاها" علميا" تطبيقيا" لتحقيق غايات نفعي (١).

ولما جاء اليونانيون القدماء كانت كلمة بحث بمعنى وجهة نظر عندهم ، إذ كان لكل فليسوف يوناني منهجه وطريقته في الوصول إلى الحقيقة (٢).

ولكن الفيلسوف اليوناني **" أرسطو"** طور مناهج البحث وأسلوب التفكير اكثر من غيره بوضعه قواعد المنهج القياسي (٣). وقد قدم العرب مساهماتهم في هذا المجال ولا سيما في عصور ازدهار الحضارة العربية التي تمتد من القرن الثامن الميلادي حتى القرن السادس عشر حيث اكتشفوا المنهج العلمي الخاص بهم والذي مكنهم من المشاركة في تطوير العلم والمعرفة، وقد ضل أثرهم بارزا" في بناء الفكر والمؤسسات الثقافية العربية إلى فترة طويلة (٤).

ولو تتبعنا الآثار العلمية للجاحظ مثلا" لتكشف لنا بأنه قد أبتدع منهجا" فكريا" قائما" على الملاحظة والتحليل والمقارنة والنقد والتمحيص (٥).

ومن هذا فأن العرب كانوا يبدون نشاطا"واجتهادا" عجيبين حين يلاحظون ويمحصون ويراقبون ما تعلموه من التجربة (٦).

ففي القرن الثالث عشر نجد أن نشاط العرب في البحث العلمي أصبح اعظم نشاط علمي يعتمد على المنهجية التجريبية في التفكير العلمي، ذلك أن أي باحث لا يستطيع جمع مادته العلمية وتصنيف بياناته وصياغة فروضه ونظرياته وقوانينه الشمولية التي تصنف وتحلل الظواهر والأحداث تحليلا" اجتماعيا" علميا" دون استعماله مجموعة من المناهج التي تتلائم مع طبيعة دراسته وأهدافها العلمية (٧).

---

(١) بدر، احمد ، " أصول البحث العلمي ومناهجه "، بيروت ، دار العلم للملايين، ط٤ ، ١٩٧٨، ص٦٤.

(٢) بدوي ، عبدالرحمن ، " مناهج البحث العلمي " بيروت، دار القلم ، ط٣ ، ١٩٧٧، ص٣.

(٣) ياسين ، خليل، " منطق البحث العلمي "، بيروت، مطبعة دار الكتب، ج٢، ١٩٧٤ ، ص٦٥.

(٤) الطاهر، علي جواد،" مناهج البحث الأدبي" ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣ ، ١٩٧٩ ،ص١٩.

(٥) فهمي، مصطفى، ومحمد على القطان، " علم النفس الأجتماعي " القاهرة ، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٧٧ ،ص١٠.

(٦) روزنفال، فرانتز، " مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي "، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦١، ص١٥.

(٧) الخشاب، احمد(الدكتور) ، " التفكير الاجتماعي " ، دار المعارف بمصر، القاهرة ، ١٩٧٠، ص٣٠٠- ٣٠٥.

إن المناهج العلمية التي يستعملها المفكرون العرب تحاول تسليط الأضواء على البحث وأغنائه من زوايا متعددة، لأن كل منهج بحث يعالج الموضوع من زاويته الخاصة ، وعندما تتنوع هذه المناهج فأن معالجات البحث تكون متنوعة وبالتالي تتكامل الصورة عند الباحث في دراسته للموضوع لأنه أعتمد على أكثر من منهج واحد في الدراسة من أجل التوصل إلى معلومات واستنتاجات تفصيلية وواقعية عن موضوع معين (١).

والمنهج العلمي الذي يستخدمه الباحث كالمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج الاستقرائي ومنهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة هي التي تمد الباحث بمعلومات موضوعية تتعلق بالحقائق وبما هو كائن فعلا"وحقيقة"ولا تتعلق بالقيم والأحكام وما ينبغي أن يكون (٢).

بعد هذه المقدمة عن أهمية مناهج البحث في تطور البحث العلمي عند العرب وغيرهم من العلماء، نستطيع عرض وتحليل أهم مناهج البحث العلمي التي استعملها المفكرون العرب وغيرهم من العلماء في جمع وتصنيف وتحليل وتنظير ما كتبوه وألفوه وهذه المناهج هي مايلي:-

الفصل الأول - المنهج التاريخي

إن المنهج التاريخي يبحث في الماضي السحيق الموغل في القدم ويهدف إلى كشف ما دار فيه والعوامل الجوهرية المؤثرة في الأحداث التاريخية والربط العقلاني الموزون بين حادثة وأخرى بالإضافة إلى دراسة نتائج الحادثة وأثرها على مسيرة المجتمع التحولية وعلاقتها بالأهداف العليا التي يريد المجتمع بلوغها خلال فترة زمنية محدودة.

فالمنهج التاريخي هو الطريقة التي يتم بها دراسة تاريخ الإنسان وجهوده ومنجزاته وحضارته العريقة، والتاريخ هو سرد للجهود والأعمال التي قام بها الإنسان ، وكشف لقواه الكامنة الأصيلة ، وبهذه الطريقة استطاع الإنسان من خلال تفكيره العقلي الموزون السيطرة على الطبيعة في الوقت الذي استطاع فيه تحسين علاقاته الاجتماعية مع الآخرين.

---

(1) Abrams. M. " Social Surveys & Social Action " , Heinemann, London , 1951 , p. 3.

(٢) حسن، عبد الباسط محمد(الدكتور) ، " أصول البحث الاجتماعي "، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧١، ص٤٠٤.

ترك هذا المنهج آثارا" كبيرة في دراسة التاريخ نفسه إذ أن رواده يعتقدون بأن الماضي لا يمكن أن يفهم من خلال دراسة الحاضر وليس واجب المؤرخ وصف الظواهر التاريخية وانما على المؤرخ الربط بين الأنظمة السابقة والحاضرة التي يشهدها المجتمع المعاصر لأن الظواهر الاجتماعية ترتبط ارتباطا" كبيرا" بواقع المجتمع في الماضي ولا بد للباحث الاجتماعي من الرجوع إلى الماضي لعقب الظاهرة منذ نشأتها ومعرفة عوامل تبدلها من حال إلى حال (١).

والمنهج التاريخي يسعى بطبيعة الحال إلى تفسير النظم المختلفة في وجودها الواقعي واتجاهاتها ويزودنا بمعلومات حول أصولها وتطوراتها المتوقعة وبإحساس تاريخي منظور وتطوري ، فالأحداث ليست منعزلة ومستقلة بعضها عن بعض ولكنها مترابطة في سياق زمني محدد.

إن الغرض من استخدام المنهج التاريخي في علم الاجتماع هو الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة للظواهر الاجتماعية، وعن هذا الطريق يحاول الباحث الاجتماعي أن يربط الحاضر بالماضي ويحاول أن يفهم القوى والظروف الاجتماعية الأولى التي شكلت الحاضر لكي يصل إلى وضع القوانين العامة المتعلقة بالسلوك الإنساني للجماعات والمؤسسات والنظم الاجتماعية (٢).

المبحث الأول: أراء الفارابى والغزالى بالمنهج التاريخى

يعد **الفارابي** من المفكرين الذين يؤمنون بالمنهج التاريخي العلمي القائم على الملاحظة والوصف والتحليل والنقد ومحاولة التفسير، ويشير إلى أن هناك قوانين تحدد مسيرة المجتمع وصيرورته ومروره في مراحل تاريخية متباينة تتصف كل مرحلة منه بصفات معينة.

أما عملية التحول والصيرورة الاجتماعية فهي عملية حتمية لها بدايتها ولها نهايتها وأسبابها ونتائجها الظاهرة والكامنة، والتحول الاجتماعي كما يراه الفارابي هو شئ حتمي يتسم بالاستمرارية والفاعلية، فالمجتمعات تتحول من مجتمعات غير كاملة إلى مجتمعات كاملة والمجتمعات الكاملة تتحول من مجتمعات صغرى إلى مجتمعات وسطى ثم مجتمعات كبرى، أما المجتمعات غير الكاملة فإنها تتحول من مجتمع الأسرة إلى مجتمع المحلة ثم إلى مجتمع القرية (٣).

---

(١) التل، صفوان خلف (الدكتور)، " العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية ، دراسات في المجتمع العربي "، اتحاد الجامعات العربية، عمان، ١٩٨٥، ص٣٨٥.

(٢) حسن، عبد الباسط، مصدر سابق ، ص ٤٠٥.

(٣) عبد الباقي ، زيدان (الدكتور)، " التفكير الاجتماعي، نشأته وتطوره "، القاهرة ، مطبعة دار النشر الثقافية، ١٩٧٢ ، ص٨١.

علما" بأن المجتمعات غير الكاملة تتحول تاريخيا" إلى مجتمعات كاملة، أما سبب التحول والصيرورة فيرجعه الفارابي إلى تعقد نظم التضامن البشري نتيجة زيادة السكان وتشعب الحاجات ونزوع الإنسان إلى التعاون الذي يحقق له الكمال أو السعادة (١).

أما **الغزالي** فقد أعتمد على المنهج التاريخي من خلال تفسيره لحقيقة الاجتماع الإنساني حيث ركز على نقطتين أساسيتين هما طبيعة الإنسان والقوى المحركة له ودراسة النظم والمؤسسات من ناحية أصولها ووظائفها وطريقة تحولها من نمط إلى آخر . وقد أعتمد الغزالي في دراسته لطبيعة الاجتماع الإنساني ودوافعه على ثلاثة مصادر أساسية هي:-

آ- المبادئ الأساسية للإسلام وما أكدت عليه من قيم روحية وسماوية منظمة لسلوك الإنسان.

ب- الأحداث السياسية والاجتماعية والروحية التي شهدتها الأمة العربية الإسلامية في عصره.

ج- التراث الاجتماعي والحضاري الذي نقله العرب والمسلمون عن الإغريق والرومان (٢).

المبحث الثاني: أبن خلدون والمقريزي – رواد المنهج التاريخي

ومن رواد هذا المنهج أيضا" هو العلامة **أبن خلدون** لذي كان عالما"يؤمن بالمنهج التاريخي العلمي القائم على الملاحظة والمشاهدة والوصف والتحليل والنقد ومحاولة التفسير، إن المنهج التاريخي الذي أعتمده أبن خلدون في أبحاثه ودراساته الاجتماعية يبدأ بتحليل أصل وجود المجتمع وحتمية حركته وتطوره عبر الأجيال والعصور، ويؤكد أبن خلدون على أن هناك قوانين تاريخية تحدد مسيرة المجتمع، والمجتمع البشري شأنه شأن الفرد يمر بمراحل منذ ولادته وحتى وفاته ، وان للدولة أعمار تتحدد بثلاث أجيال والجيل هو أربعون سنة ، وفي هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بمرحلة النشأة والتكوين ومرحلة النضوج والكمال وأخيرا" مرحلة الهرم والشيخوخة (٣).

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)، " الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع "، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث، ١٩٨٦، ص٧١.

(٢) الخشاب، احمد (الدكتور)، مصدر سابق، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) عزت ، عبدالعزيز(الدكتور)،" تطور المجتمع البشري عند أبن خلدون "، مهرجان أبن خلدون ، القاهرة ، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٢، ص ١٣٠.

إن منهجية أبن خلدون التاريخية منهجية تشمل دراسة ماضي وحاضر المراحل التاريخية للمجتمعات والنظم الاجتماعية الفرعية. ويعتقد أبن خلدون بأن استمرارية المجتمع البشري في التغير والتطور لها نتائجها الواضحة المعالم وهذه النتائج تتجسد في تغير وسائل الضبط الاجتماعي وتغير هيكل التوزيع الجغرافي والمهني والاجتماعي للسكان وتحسن أنماط الحياة ومستويات المعيشة وتسريع عملية الحراك الاجتماعي بين الشرائح والطبقات. إن فضل ابن خلدون في تطور المنهج التاريخي يكمن في ناحيتين أولهما تميزه بين التاريخ وفلسفة التاريخ والثانية هي محاولته معرفة العلل والأسباب التي تفسر الوقائع والأحداث التاريخية (١).

فالتاريخ بالنسبة لابن خلدون هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل معين، بينما فلسفة التاريخ هو معرفة الأحوال والظروف العامة للأجيال والعصور. وقد مكنت هذه الدراسة ابن خلدون من استقراء نظريات كثيرة خاصة بالعمران البشري ، وساعدته في معرفة وأدراك ظاهرة التغير الاجتماعي . ويضيف ابن خلدون في دراسته للمجتمع دراسة تاريخية معلومات قيمة أخرى هي ضرورة قيام الباحث بدراسة تطور الظواهر والنظم العمرانية دراسة داينميكية تاريخية، ذلك لأن الظاهرة العمرانية ظاهرة متطورة ومتبدلة، ويحرص أبن خلدون على أن يفسر ويعلل الظاهرة العمرانية في حالتي استقرارها وتطورها ونموها بظاهرة اجتماعية عمرانية أخرى وفقا" للأساس الذي ينادي به أصحاب المدرسة الاجتماعية الحديثة. ويوضح بأن الظاهرة الاجتماعية لا يمكن أن تحدث في فراغ لأنها نتاج الماضي وثمرة عوامل عديدة تفاعلت بمرور الأيام وأعطتها وضعها الذي توجد عليه في الوقت الحاضر، هذا النوع من الدراسة للظاهرة الاجتماعية يعني الأخذ بنظر الاعتبار التطورات والتغيرات المختلفة لكل ظاهرة من الظواهر عبر التاريخ (٢).

وقد أنتقد أبن خلدون من سبقه من المؤرخين لعدم ذكرهم الأسباب والعلل الكامنة وراء حدوث الظواهر الاجتماعية وبهذا يمكن أن يعتبر أبن خلدون أول عالم يدعو صراحة إلى استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع (٣).

لقد أراد أبن خلدون من تطبيق المنهج العلمي أن يخلص البحوث التاريخية من الخرافات والأخبار الكاذبة، ولذلك وضع معايير وضوابط يستطيع بواسطتها الباحثون في التاريخ التمييز بين الحقائق من جهة والخرافات والأكاذيب من جهة أخرى (٤).

---

(١) سالم، نادية حسن(الدكتورة) ،" أصالة أبن خلدون "، ندوة التراث الاجتماعي العربي، الخرطوم، ١٩٨٥ ، ص٩.

(٢) عيسى ، محمد طلعت(الدكتور)،" البحث الاجتماعي ، مبادئه ومنهجه "، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢ ، ١٩٦١ ، ص٢٢٩.

(٣) الساعاتي، حسن (الدكتور)،" المنهج العلمي في مقدمة أبن خلدون "، أعمال مهرجان أبن خلدون ، القاهرة ، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٢، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤) عبد المولى، محمود، " أبن خلدون وعلوم المنهج "، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧١، ص٧٧.

والمنهج التاريخي العلمي في رأي أبن خلدون لا ينزع إلى النقل والسرد والخلط وانما يقوم على ملاحظة أسباب الوقائع والأحوال ولذلك فهو يعتمد على طرق فنية في التحقيق والتنقيح، كما يشير أبن خلدون إلى أجرائين آخرين هما النقد الصحيح والاحتكام إلى طبائع العمران وأحواله. والواقع إن هذا الإجراء الأخير يوضح وجهة نظر أبن خلدون فيما يجب أن يتناوله البحث التاريخي، إذ يجب أن يتسم هذا البحث بالشمول لكافة نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية. ولهذا فالبحث بأستخدام المنهج التاريخي يفرض على الباحث متطلبات أساسية، فمن الضروري الالتفات إلى وقائع التغير والتبديل التي تجعل الأجيال مختلفة بعضها عن بعض ولا يمكن أن يقتصر البحث التاريخي على مجرد السرد وانما ينطوي على بعد سياسي حاسم ورئيسي ذلك أن أبن خلدون يصف هذا البعد بأعتباره عاملا" رئيسيا" من عوامل التغير الاجتماعي والحضاري.

أما العالم **أحمد بن علي المقريزي** فقد تأثر بأبن خلدون في مؤلفاته حيث أستعمل المنهج التاريخي في دراسته لتاريخ المجاعات التي تعرضت لها مصر منذ أقدم العصور وأثناء بيانه لتلك الأخبار يتعرض لأسبابها وطرق الوقاية والعلاج وموقف الحكام منها **(١)**.

من خلال ما تقدم نستنتج بأن العالم الاجتماعي لا يستطيع دراسة وفهم وتحليل النظم الاجتماعية والظواهر الحضارية دون دراستها دراسة تاريخية مفصلة طالما أن النظم والظواهر الاجتماعية المعاصرة ماهي إلا وليدة التحولات التاريخية التي طرأت عليها فغيرتها وجعلتها تتميز بصفاتها الحاضرة التي نشعر بها الآن **(٢)**. وعندما يدرس المفكر الاجتماعي المجتمع فأنه يضطر إلى معرفة المراحل التاريخية التي مر بها، حيث أن دراسة ماضي المجتمع تمكن المفكر من فهم واستيعاب حاضره، وفهم كل من الماضي والحاضر يساعدنا في تنبؤ المستقبل وكشف أسراره وكوامنه **(٣)**.

فالمنهج التاريخي يستعين بعدة تقنيات يستطيع من خلالها المفكر معرفة ما وقع في الماضي، وهذه التقنيات تتجسد في الكتب والمصادر والمخطوطات القديمة والبقايا والمخلفات الأثرية كالبنايات والمقابر والنقود والأثاث والآثار والمفكرات والوثائق والمستمسكات وسير الشخصيات والقادة والملوك **(٤)**.

إن هذه التقنيات تعد المادة الأساسية للمؤرخ لأحتوائها على أعمال وأفعال الناس في الزمن الماضي **(٥)**.

---

(١) زيادة، محمد مصطفى(الدكتور)،" المقريزي المؤرخ الكبير"، مجلة العربي العدد الرابع عشر، كانون الثاني، ١٩٦٠، ص٢٨.

(٢) الحسن، إحسان محمد (الدكتور)،" علم الاجتماع دراسة نظامية"، بغداد ، مطبعة الجامعة، ١٩٧٦، ص١٢٠.

(٣) الخشاب، أحمد (الدكتور)، مصدر سابق ، ص٣٠٥.

(٤) أبن خلدون، عبد الرحمن ،" المقدمة "، بيروت، دار القلم ،١٩٧٨ ص٩-١٢.

(٥) بدوي، عبد الرحمن (الدكتور)،" مناهج البحث العلمي"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٨٤.

وعلى هذا الأساس فأن المفكرين الاجتماعيين العرب وغيرهم يستخدمون المنهج التاريخي بشكل أساسي في بحوثهم ودراساتهم للظواهر الاجتماعية.

الفصل الثاني المنهج المقارن

هو الطريقة التي يستعملها الباحث أو المفكر الاجتماعي في جمع المعلومات الوصفية حول الظاهرة المراد دراستها ومقارنتها واستخراج القوانين الكونية التي تستند إلى أدلة وبراهين إحصائية وعلمية لها أهميتها في تفسير طبيعة الظاهرة المدروسة، ولها الفضل الكبير في تحديد طبيعة السلوك السائد في المجتمع ونوعية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات وتدرس صفات ووظائف وخصوصيات الأنماط المختلفة في المجتمع (١).

إن طريقة المقارنة تقوم على دراسة النظم والأحداث الاجتماعية في الماضي والحاضر وجمع المعلومات الضرورية عنها ثم تحليلها ومقارنتها بهدف استنباط بعض المبادئ الاجتماعية العامة (٢).

إن هذا المنهج يتوخى مقارنة المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع والنظم والتراكيب الاجتماعية في مناطق جغرافية متباينة لتوضح أوجه الشبه والاختلاف بين هذه المجتمعات والجماعات.

المبحث الأول: كيف اعتمد الفارابي والغزالي والماوردي هذا المنهج

ويعد **الفارابي** من أول العلماء العرب والمسلمين الذين أعتمدوا على المنهج المقارن في الدراسة والبحث ، فقد قارن بين المجتمعات الكاملة والمجتمعات الناقصة، (٣) فالمجتمعات الكاملة هي المجتمعات التي يتحقق فيها التعاون الاجتماعي والتي تستطيع جلب السعادة والرفاهية للإنسان ، أما المجتمعات الناقصة فهي المجتمعات التي لا يتوفر فيها التعاون الاجتماعي ولا تستطيع تحقيق الاستقرار والسعادة للإنسان، كما يقارن الفارابي بين الأنماط الثلاثة من المجتمعات الكاملة وهي المجتمعات الصغرى والوسطى والكبرى وكذلك يقارن بين الأنماط الثلاثة من المجتمعات غير الكاملة أو الناقصة وهي مجتمع الأسرة ومجتمع المحلة والقرية.

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور) " علم الاجتماع السياسي "، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص٢٠٩.

(2) Radcliffe , Brown, A. " Structure and Function in Primitive Societies ", London, Oxford University Press, 1950, PP. 30-80.

(٣)غالب، مصطفى(الدكتور)" الفارابي "، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٩٧٩، ص٩.

ويستخدم الفارابي منهجه المقارن في دراسة المدينة الفاضلة ومقارنتها بالمدينة الجاهلة، فالمدينة الفاضلة هي التي يؤدي فيها الإنسان أداء" تاما" بفضل ما يسود فيها من علاقات وتعاون وألفة ومحبة وما يتوفر فيها من عدالة ومساواة وديمقراطية تحدد علاقة الحاكم بالمحكوم (١). أما المدينة الجاهلة فهي المدينة التي لا يعرف أهلها السعادة ولا يعترفون بها ولا يقيمون لها وزنا" (٢).

وقارن الفارابي بين الأنماط المختلفة للمدينة الجاهلة كالمدينة الفاسقة والمدينة الضالة ومدينة الإباحية وغيرها. فالمدينة الجاهلة هي المدينة التي لا يعرف أهلها أعمال الخير فهم لا يميزون بين الخير والشر بسبب تخلفهم وتحجرهم. أما المدينة الضالة فهي المدينة التي يعتقد أهلها بمبادئ ووصايا الدين إلا أنهم يسيئون إلى الدين ويحرفون تعاليمه وأوامره ويجتهدون في مبادئه بطرقة تتعارض مع جوهر الدين وتتنافى مع روحه الحقيقية (٣).

وقارن **الغزالي** بين العلوم الشرعية والعلوم غير الشرعية وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة ، وقارن بين ظاهرة البيع والشراء وظاهرة الربا والإجارة. وتناول الغزالي في دراساته الاجتماعية الاتجاهات السلوكية عند الجماعات والشرائح الاجتماعية حيث قارن بين هذه الطبقات وأوضح صفاتها الخاصة والعامة مركزا" على العوامل الأساسية المسؤولة عن وجودها وديمومتها وتحولها من طور إلى طور آخر. كما عالج الفوارق الأساسية الموجودة بين هذه الطبقات. وفي مجال آخر تناول الغزالي موضوع النفس البشرية حيث قال " أما النفس الإنسانية الناطقة فتنقسم قواها أيضا" إلى قوة عاملة وقوة عالمة وقارن بينهما وأوضح خصائص كل منهما ".

أما **الماوردي** فقد أستخدم هذا المنهج في دراساته الاجتماعية التي تتعلق بالنظام السياسي الذي كان سائدا" في زمانه مقارنة" مع الأنظمة السابقة وما طرأ عليها من تغيرات بسبب الظروف البيئية، وقد ميز بين الخلافة والإمارة وأعتبر الإمارة شكل خاص من أشكال الوزارة.

---

(١)احمد، غريب محمد سيد (الدكتور) " تاريخ الفكر الاجتماعي "، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٩، ص٨٢.

(٢) عبد الباقي، زيدان (الدكتور) " التفكير الاجتماعي ، نشأته وتطوره " القاهرة، دار النشر الثقافية ، ١٩٧٢، ص٨٤.

(٣) فروخ، عمر (الدكتور)" تاريخ الفكر العربي حتى ايام ابن خلدون "، بيروت، دار عالم الكتب، ١٩٦٢، ص٢٨٧-٢٨٩.

المبحث الثاني: رأي ابن خلدون وعلماء الغرب بالمنهج المقارن

أعتمد **أبن خلدون** منهجه المقارن في دراسة المجتمع دراسة سكونية ودراسة داينميكية في آن واحد **(١)**. ففي دراسته السكونية يحدد أبن خلدون ماهية النظم الاجتماعية أو العمرانية التي يتكون منها البناء الاجتماعي وهي النظام الديني والاقتصادي والسياسي والأسري، وفي هذه الدراسة يوضح أهمية وظائف النظم العمرانية ويقارن بينها ويستخلص القوانين الشمولية حول عملياتها وتفاعلاتها وتكاملها وصيرورتها وعلاقتها بالفرد والمجتمع.

أما الدراسة الداينميكية للمجتمع فتنطوي على تصنيف المجتمعات إلى أنماط مختلفة كالمجتمعات البدوية والمجتمعات الحضرية ويقوم بالمقارنة بين البداوة والحضارة وتحديد صفاتها ووظائفها.

وأكد أبن خلدون على ضرورة الاعتماد على منهج البحث المقارن وقد أدرك عن كثب سر تباين المجتمعات وتشابهها وأرجع هذه العوامل إلى أثر البيئة والعوامل الجغرافية ، لذلك نراه يعرض بإسهاب أثر الإقليم والطقس وأحوال المعيشة في أخلاقية الشعوب وطباعهم وأحوالهم الاقتصادية ومدى تأثر الظواهر السياسية بهذه العوامل. ولم يغفل أبن خلدون الكلام عن تباين المجتمعات في التقاليد والعادات والنظم الاجتماعية وما اليها، ومما يدل على مبلغ اهتمامه بالمنهج المقارن انه عقد فصلا" درس فيه دراسة علمية وصفية تحليلية " عوامل التباين في المجتمعات ". ويعبر أبن خلدون عن هذه القاعدة المنهجية بقوله " إذا لم يقس الغائب من الأخبار بالشاهد منها والحاضر بالذاهب فربما لا يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق. " ومن خلال استخدام أبن خلدون لهذا المنهج استطاع اكتشاف قانون التشابه والتباين، فالتشابه يتأتى من حقيقة تشابه المجتمعات في بنائها ووظائفها وتحولها من نمط لآخر، أما التباين فيفسر اختلاف المجتمعات في ظروفها وأحوالها وعاداتها وتقاليدها ومستويات تقدمها ونضجها الحضاري والتاريخي **(٢)**. ويستخدم أبن خلدون منهج المقارنة في تصنيف المجتمعات إلى أنماط مختلفة تبعا" للمهن التي تزاولها والحياة الاقتصادية التي تعيشها، وقارن اوجه المعاش المختلفة حيث يعتبر الفلاحة أقدمها وهي مرتبطة بالحياة البدوية وربط التصنيع بالتحضر وقد كتب ابن خلدون في ذلك يقول " وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش، أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات، إذ هي بسيطة وطبيعية وفطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم " **(٣)**.

---

(١) الخشاب، احمد (الدكتور)، مصدر سابق ، ص٣٠٥.

(٢) التوانسي، ابو الفتوح محمد، " ابن خلدون "، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦١ ، ص٢١.

(٣) محمد، محمدعلي(الدكتور)" تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة "، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٨٩، ص٦٨.

ربط ابن خلدون بين المستوى الاقتصادي للمجتمع وبين الطباع والأخلاق فيقول بأن لكل مستوى اقتصادي طبائعه وأخلاقه، فالبدو بصورة عامة أقرب إلى الشجاعة والتضامن والعصبية والأخلاق الحميدة والحضر أقرب إلى الرفاهية والتأنق وأبعد عن الأخلاق المحمودة.

ولعلماء الغرب دور لا يخفى في تطور هذا المنهج فقد أوضح **" جون ستيوارت ملز"** بأن المنهج المقارن يعني مقارنة نظاميين متماثلين في جميع الظروف ولكنهما يختلفان في عنصر واحد، ومن خلال دراسة اوجه التماثل والاختلاف يمكن استخراج القوانين الكونية عن النظم والمؤسسات الاجتماعية التي تساعد الباحث على فهمها واستيعاب عناصرها الجوهرية **(١)**.

أما العالم الاجتماعي **" أميل دوركهايم "** فقد استعمل هذا المنهج وطبقه على دراسة الأنظمة الشرعية في العالم حيث قارن بين عدد من الأنظمة في مجتمعات مختلفة تتمتع بمستويات متباينة من التقدم الحضاري المادي، ولدى مقارنته بين هذه المجتمعات استعمل القانون كمؤشر للصفات الأخلاقية في المجتمع بعد أن فحص فرضيته القائلة بأن زيادة تقسيم العمل دائما" ما تؤثر على طبيعة التكامل والتماسك الاجتماعي.

إن المنهج المقارن كان يمثل محورا" أساسيا" في أعمال المفكرين الاجتماعيين العرب من خلال مقارنة ظواهر وعادات وقيم وعادات وقيم وآداب مجتمعاتهم خلال فترات تاريخية متباينة وأستنبطوا قوانين كونية شمولية على جانب كبير من الدقة والموضوعية تحكم طبيعة الظواهر والتفاعلات وتحدد مسيرة المجتمعات والحضارات وترسم أنماط البنى والتراكيب المؤسسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي **(٢)**.

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور) " علم الاجتماع دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية "، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص٦٨.
(٢) الجوهري ، عبد الهادي(الدكتور)" قاموس علم الاجتماع"، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة،١٩٨٣،ص٢٢٥.

الفصل الثالث - المنهج الاستقرائي

إن الاستقراء عند العرب طريقة بحثية تقوم على استنتاج الحقائق والمعلومات من الأدلة والبراهين والحجج العلمية المتيسرة عند الباحث كأن يستنتج الباحث وقوع ظاهرة اجتماعية معينة كالتحضر مثلا" من خلال دراسة الظروف العامة التي يشهدها المجتمع كزيادة السكان والاحتكاك الحضاري بالمجتمعات المتحضرة والراقية وانتشار العلم والمعرفة وازدياد التنمية الاقتصادية. فإذا استطاع الباحث أن يصل إلى نتيجة عن طريق الاستقراء فمن الممكن أن يستخدمها كحجة علمية في استدلال استنباطي وفلسفي، وهذا يدل على أن البحث عند العرب يعتمد على الاستقراء ويعتمد على الاستنباط أيضا" فكل جانب يعزز نتائج الجانب الآخر ويدعم صحتها وعلميتها، وعليه فان هذا المنهج يقوم بدراسة العلاقة السببية بين عاملين متلازمين هما العامل المستقل والعامل المعتمد أو الثانوي وبعدها يستقرأ المرحلة المستقبلية التي سيمر بها المجتمع أو النظام الاجتماعي.

المبحث الأول: رواد المنهج الاستقرائي

لا يمكننا تناول المنهج الاستقرائي دون التعرض إلى الرواد الأوائل الذين كان لهم دور كبير في نشوء وتطور هذا المنهج..

إن مستلزمات البحث العلمي عن المعرفة ولا سيما المعرفة النظرية دفعت **الفارابي** إلى اعتماد المنهج الاستقرائي، فهو يستنتج بأن المجتمع الكامل هو المجتمع الفاضل الذي جلب السعادة لأفراده وجماعاته. وأن المجتمع الناقص هو المجتمع الجاهل الذي يجلب الشر والأذى للأفراد والجماعات، علما" بأن استنتاج الفارابي لفوائد المجتمع الكامل للفرد والجماعة يستند على الصفات الإيجابية والحيوية التي يتمتع بها المجتمع الكامل، أذن فالاستقراء عنده يعتمد على استنتاج الحقائق العلمية الجديدة من فرضيات وأدلة وبراهين معروفة(١).

لقد ابتدع **الغزالي** منهجية أصيلة في البحث والدراسة العلمية واستند عليها في جمع الحقائق والمعلومات وتصنيفها وتنظيرها واعتمادها في تفسير الظواهر الإنسانية والحوادث الاجتماعية والمشكلات الحضارية التي يشهدها المجتمع الإنساني (٢).

---

(١) الخشاب، احمد (الدكتور) " التفكير الاجتماعي، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية"، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠، ص ٢٤٣.

(٢) غيث، محمد عاطف (الدكتور) "تاريخ التفكير الاجتماعي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص٤٠-٤١.

لقد استخدم الغزالي المنهج الاستقرائي في دراسته لموضوع التربية والسلوك فقال إن السلوك هو نتيجة حتمية للتربية الأسرية والأخلاقية والدينية التي يتلقاها الفرد في المجتمع ، ومن جهة أخرى ربط الغزالي بين التربية السليمة ونهوض وتقدم المجتمع من جهة وبين التربية الفاسدة وجمود وتخلف المجتمع من جهة أخرى. فالغزالي يعتقد بأن التربية أساس السلوك وأن السلوك يمكن تغييره عن طريق التربية والتهذيب(١). تلك العملية التي يضطلع بها المعلم أو رجل الدين، و كما يرى الغزالي أن الفكرة الإنسانية قابلة لكل شيء وانه ليس مثل التربية والقيم الأخلاقية فالخير يصيب الإنسان من خلال التربية التي يتلقاها والشر يمسه إذا كانت تربيته ناقصة ، وليس للإنسان بالفطرة ميل خاص لا إلى الخير ولا إلى الشر (٢).

ويقول الغزالي إن النفس البشرية مقر للعلم والحكمة ومنبع لها فالمعارف أصيلة فيها لا دخيلة عليها لذلك وجب التعليم لتقويم النفس وتهذيبها وصقل معالمها الجوهرية ، ويرى إن هدف التربية هو بلوغ النفس كما لها، لهذا وضع دستورا" شاملا" للآداب والأخلاق والمبادئ الواجبة على المتعلم والمعلم وطرق التعليم ووسائله ودعا إلى التمسك والاهتداء بنصوصها (٣).

المبحث الثاني: أستخدام ابن خلدون وابن طفيل والماوردي لهذا المنهج

أما **ابن خلدون** فيقول بعد الانتهاء من جمع المادة حول ظاهرة معينة من خلال الملاحظة المباشرة والدراسة لمختلف الفترات التاريخية يمكن استخدام الاستقراء والتعليل والتحليل للوصول إلى القوانين العامة التي تحكم الظواهر المختلفة، ولهذا يجب على الباحث العمل على توضيح ما بين الظواهر والحوادث من أقتران سببي لأن الظواهر ترتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول. وقد درس ابن خلدون العلاقة السببية بين العامل الجغرافي والمظهر العمراني في أكثر من موضع وفسر كثرة العمران وزيادة السكان بالظروف المناخية. وأهتم بالموضوعية لأنه يريد أن يكون مذهبه متألقا" مع الوقائع وكشف القناع الذي يخفي الحقيقة ويبدد الظلمات المحيطة بالموضوع لذا لجأ إلى البراهين المستمدة من طبيعة الأشياء ورفض كل الروايات البعيدة عن التصديق التي تصادفها لدى مؤرخي القرون الوسطى. إن محور ثقل نظرية ابن خلدون الايكولوجية يتمركز حول توضيح أثر البيئة الطبيعية والمناخية في قيام الحضارة وأثر الأخيرة في طبيعة النظم الاجتماعية وسلوكية وأخلاقية الناس على اختلاف أوطانهم وأممهم.

---

(١) الحسن، إحسان محمد (الدكتور) " الجذور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب "، المورد ، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص ٧٤-٧٥ .

(٢) الرفاعي، احمد فريد (الدكتور) " الغزالي " الجزء الأول، مطبعة عيسى البابي، القاهرة ،١٩٥٤، ص٢٧٥-٢٨٠.

(٣) الجميلي، رشيد عبدالله (الدكتور) " دراسات في تاريخ الخلافة العباسية " ، مطبعة المعرفة ، الرباط ، ١٩٨٤، ص٢١٠- ٢١٥.

أما نظريته في التحول الاجتماعي فتعتمد على منهجه الاستقرائي أكثر من أي منهج آخر استعمله في دراساته التاريخية والاجتماعية حيث يؤكد على أن المجتمع سجل في طياته عوامل هدمه فهو ينشأ بدويا" غايته تأمين ما هو ضروري للحياة ولكنه لا يلبث أن ينتقل إلى مرحلة أعلى بفعل ما ينشأ فيه من ميل دائم إلى التحسين، وانتقاله هذا يولد تناقضات جديدة تؤدي بالنهاية إلى انحلال المجتمع وسقوط الدولة(١).

وقد وجد ابن خلدون في تزايد الترف في مرحلة المدينة السبب الأساس في تفسخ المجتمع وذلك لأن ركون مؤسسي الدولة الذين نشأوا يوما" ما في متاهات البادية وتحولوا إلى حياة الترف من شأنه أن يفسد أخلاقهم ويضعف الرجولة والشهامة فيهم فيظهر لنا عبر أجيال محدودة من اتسموا بالضعف وفقدوا كل صفات الرجولة والشجاعة، وهذا ما يؤدي عندئذ إلى خروج جيل جديد من البادية يعمل إلى إزالة الدولة القديمة وتأسيس دولة جديدة مكانها.
أما **" أبن طفيل "** فيؤكد في رسالته الموسومة **" حي بن يقضان"** على مبدأ السببية الذي ينص على وجوب محدث لكل حادث.

وأوضح **" الماوردي "** في دراسته للعلاقة بين العقل والسلوك في كتابه **" أدب الدنيا والدين "** تأثير العقل في سلوك الفرد ودوره في التأثيرات غير العقلية حيث يقول " اعلم أن لكل فضيلة أساسا" ولكل أدب ينبوعا" وأسس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل" (٢).

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأن المفكرين الاجتماعيين العرب أبان فترة القرون الوسطى كالفارابي وأبن خلدون وأبن بطوطة والماوردي وأبن سينا وأبن طفيل والغزالي وغيرهم قد برزوا في مناهج العلوم الاجتماعية قبل غيرهم من علماء ومفكري الأمم الأخرى فهم لم ينقلوا ويترجموا ما جاء به الفلاسفة الإغريق والرومان كما يعتقد بعض المفكرين والكتاب الغربيين بل درسوا الإرث الاجتماعي والفلسفي والفكري للحضارات الإنسانية القديمة وأضافوا إليه الشيء الكثير وطوره في مجالات عديدة وأكتشفوا مختلف النظريات والقوانين والعلوم الطبيعية والاجتماعية التي أخذها منهم الأوربيون بعد فترة القرون الوسطى. وحقيقة كهذه تدفعنا إلى الاعتقاد بأن العرب كانوا روادا" في مجال البحث الاجتماعي والدراسة الاجتماعية كما كانوا روادا" في مجال الحضارة وتخصصاتها وأقسامها.

---

(١) أبن خلدون، عبدالرحمن ، " المقدمـــــة " ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، ج٢ ، ط١ ، لجنة البيان العربي، ١٩٥٨ ، ص٤٧٩.
(٢)حتي، فيليب ، " تاريخ العرب المطول " ، الجزء الأول ، ط٣ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٩، ص٦٧٠-٦٨٠.

الفصل الرابع - منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة

وهو المنهج الذي أعتمده رواد الفكر الاجتماعي العربي ويتلخص أسلوب هذا المنهج بملاحظة البيئة وخواصها ومعالمها والقوى المؤثرة فيها مع التركيز على أنماط الحياة الاجتماعية وما تنطوي عليها من ظواهر وتفاعلات وعمليات سلوكية. ومنهج المشاهدة بالمشاركة يتطلب استعمال وسيلة الملاحظة ووسيلة التفاعل والتعايش مع الناس الذين يقع عليهم البحث كما يتطلب من الباحث تكييف نفسه الى المجتمع الذي يدرسه والتكيف يكون من ناحية الملابس واللغة والسلوك والعادات والتقاليد والقيم والطقوس (١). إن المشاهدة بالمشاركة هي إحدى الطرق العلمية التي يستعملها العالم الاجتماعي والتي يكون فيها جزء من الجماعة التي يراد دراستها من خلال المشاركة الكاملة في حياتها وفعالياتها اليومية(٢).

المبحث الأول : المفكرون العرب واستخدام المنهج لاشتقاق وجمع الحقائق

لقد أستعمل المفكرون العرب هذا المنهج لاشتقاق وجمع الحقائق والبيانات التي اهتموا بدراستها واستعانوا به لتحليل الأنظمة الاجتماعية وما تنطوي عليه من مبادئ وقوانين ومثل واعراف لها أهميتها في تحديد نماذج السلوك والعلاقات الإنسانية (٣).

لقد اعتمد ابن سينا وابن خلدون والإدريسي وأبن بطوطة على هذا المنهج في استنباط حقائقهم وجمع معلوماتهم وصياغتها في قوالب نظرية لها أهميتها في وصف وتحليل مقومات البناء الاجتماعي وتفسير دوافع السلوك والعلاقات وتعليل الظواهر الاجتماعية بموجب العلاقة الجدلية بين السبب والنتيجة.

ومما ذكر أعلاه نستنتج بأن منهج المشاهدة يعرف بأنه الأسلوب الفني الذي يستخدمه الباحث في رؤيته وتبصره وحصره للأشياء والظواهر والعوامل التي تقع أمام عينه.

---

(1) Moser, C. A. " Survey Methods In Social Investigation ", Heine Mann , London, 1967, p. 166.

(٢) الربضي، فرج موسى، وعلي مصطفى الشيخ، " في مبادئ البحث التربوي "، عمان، مكتب الأقصى ، بدون سنة طبع، ص١٢.

(٣) سكينجر، رودني. " البحث التربوي أصوله ومناهجه "، ترجمة محمد لبيب النجيمي ومحمد منير مرسي، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص١١٠.

استعمل المفكرون الاجتماعيون العرب هذا المنهج في دراساتهم لنظم المجتمع كالأسرة والنظام الاقتصادي والديني والسياسي، وفي دراسة العادات والتقاليد والطقوس الدينية والاجتماعية لمجتمعهم والمجتمعات الغربية التي زاروها ودرسوها دراسة علمية أثناء رحلاتهم الجغرافية وأسفارهم (١).

وقد استعمل ابن بطوطة منهج المشاهدة والمشاهدة بالمشاركة في دراساته الاجتماعية والأنثروبولوجية والجغرافية التي قام بها أثناء رحلاته إلى كافة أجزاء الوطن العربي وبلاد الهند والسند والصين....الخ (٢).

إن كافة أفكار ابن بطوطة كانت نتيجة مشاهداته من خلال الأسفار والرحلات التي قام بها، فأشتق قوانين اجتماعية كونية يفسر اثر الأرض والمناخ في قيام الحضارة الإنسانية وعلى قيم وعادات وأديان المجتمعات التي زارها وأشتق قوانين اجتماعية كونية تفسر العلاقة بين المعالم الطبيعية والحضارات الإنسانية التي شهدتها المعمورة.

واعتمد ابن سينا على هذا المنهج في دراسته لطبيعة المجتمع وطبيعة الإنسان وخواصه الذاتية والمجتمعية حيث أوضح أن حياة الإنسان تختلف أختلافا" كبيرا" عن حياة الحيوان، لأن الحيوان يحيا حياة غريزية طبيعية، أما الإنسان فقد تنوعت صناعات مأكله وملبسه ومسكنه مما يستلزم الاستنباط والرؤية، فكثرت وتنوعت من جراء ذلك حاجاته لذا أصبح من الضروري وجود مجتمع يقوم على التعاون بين الأفراد وهذا التعاون لا يتم إلا بتفاوت كفاءات الأفراد.

في هذا المنهج يستعمل الباحث بصره وأحاسيسه وإدراكه في تقصي الحقائق وجمع المعلومات واقتفاء الحوادث التي تقع في الحقل الاجتماعي من خلال ملاحظة سلوك الأشخاص الذين يشاهدهم في مواقف معينة (٣).

---

(١) الحسن، احسان محمد (الدكتور) " الأوليات التاريخية لاهتمامات العرب بعلم الاجتماع "، مصدر سابق ، ص٩٥.

(٢) دينكن ، ميشيل (البروفسور) " معجم علم الاجتماع "، ترجمة د. احسان محمد الحسن، دار الطليعة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٦، ط٢، ص١١٧.

(3) Lehmann, I. William , " Educational Research Reading ", Winston , INC , 1971, P. 98.

المبحث الثانى: ابن خلدون ودور الباحث فى استخدام المنهج المذكور

ويعتقد ابن خلدون بأن على الباحث في هذا المنهج أن يتأكد بوضوح وأن لا يتأثر بأهوائه الذاتية وآرائه المذهبية أو يتخذ من الأساطير الوهمية وآراء الآخرين غير المؤكدة أساسا" للدراسة، ولذلك يجب الاعتماد على المشاهدة المباشرة التي تتم بطريقة علمية نقدية في ضوء التجربة الشخصية للظاهرة المدروسة (١). وعلى هذا الأساس فأن ابن خلدون اعتمد أسلوبا" يجعل الدراسة والبحث ذا قيمة علمية كبيرة لا جدال فيها.

إن السمة الأساسية في مؤلفات ابن خلدون هي إيثاره الملاحظة على التفكير النظري مما جعل من المقدمة وثيقة فريدة في تاريخ أفريقيا، وأستفاد من كثرة أسفاره ومشاهداته للشعوب التي عاصرها وأحتك بها وأختلط معها وهي شعوب العرب والبربر في تحليل الكثير من الظواهر الاجتماعية من خلال تعقبه ومتابعته للظاهرة الواحدة في المجتمع الواحد في مختلف العصور التاريخية لأختلافها بين فترة تاريخية وأخرى . ولهذا اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاختلاط والاحتكاك بها والحياة بين أهلها وعلى تعقب هذه الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره وتعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ شعوب أخرى لم يتاح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها والموازنة بين هذه الظواهر جميعا" والتأمل في مختلف شؤونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض والعلاقات التي تربطها بما عداها من الظواهر الكونية وعوامل تطورها وأختلافها بأختلاف الأمم والعصور(٢).

ويقول أبن خلدون إننا نستطيع بالملاحظة وبما نشاهده في نفوسنا أن نعرض عن هذا العالم ما هو أقرب إلى اليقين. وكان ابن خلدون يرى إن القياس المنطقي لا يتفق في الغالب مع طبيعة الأشياء المحسوسة لأن معرفة هذه الأشياء لا تتسنى إلا عن طريق الملاحظة، وان المنطق بنظره لا ينتج معرفة ولكنه يرسم الطريق الذي ينبغي أن نسلكه في تفكيرنا، فهو يرشدنا إلى طريق المعرفة وله من الفضل بقدر ما يحفظنا من الزلل. ولذلك يجب على العالم أن يفكر فيما تؤدي إليه التجربة غير انه لا يكتفي في هذا الصدد بتجاربه الفردية بل يجب أن يستفيد من مجموع تجارب الإنسانية (٣).

---

(١) حسن ، عبد الباسط محمد (الدكتور) " أصول البحث الاجتماعي "، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٨٤- ٨٧ .

(٢) وافي، علي عبد الواحد (الدكتور) " عبقرية ابن خلدون "، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٠٠-١١٥ .

(٣) الزوبعي، عبد الجليل (الدكتور) ومحمد احمد الغنام، " مناهج البحث في التربية "، مطبعة جامعة بغداد، بغداد ، ج١ ، ١٩٨١، ص٢٠٦.

والمعنى العام للملاحظة هو رؤية وفحص ظاهرة معينة مع الاستعانة بأساليب البحث الأخرى التي تتلائم مع طبيعة هذه الظاهرة (١).

ولا تنحصر الملاحظة في توجيه الحواس فقط ولكنها تنطوي على عمليات عقلية وتدخل إيجابي من جانب العقل وقد يصل إسهام العقل في الملاحظة إلى درجة الابتكار والاختراع ويبدو ذلك واضحا" عند وضع الفروض والسعي الدائب إلى تحقيقها علميا".

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نعرف منهج الملاحظة والملاحظة بالمشاركة بأنه مجموعة من العمليات العقلية تتعاقب وفق مخطط منهجي مرسوم، لكن الملاحظ يجب أن يفصل بدقة مجمل حياته الذاتية والنفسية وأذواقه وميوله واتجاهاته عن الموضوع الذي يشاهده كما وأن الحقائق التي يدونها عن موضوع الملاحظة يجب أن تكون مشتقة من طبيعة الموضوع الخارجية والداخلية وليس من تصورات وأهواء ومقاصد الملاحظ. ويستعمل الباحث عدة وسائل وإجراءات لأجل الحصول على الدقة العلمية وقياس العناصر المدروسة بصدق وأمانة، ومن هذه الوسائل المذكرات التفصيلية والصور الفوتوغرافية والخرائط واستمارات البحث (٢).

---

(١) Evans - Pritchard, E . " Social Anthropology ", Routledge paper back , London, 1967 , pp. 69-70.

(٢) (٢)زهران ، حامد عبدالسلام (الدكتور) " علم النفس الاجتماعي " ، القاهرة ، عالم الكتب، ط٣ ، ١٩٧٤، ص ٢٠٨- ٢٠٩ .

المصادر

١- أبو الفتوح محمد التوانسي،" ابن خلدون"، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦١ ، ص٢١.
٢- إحسان محمد الحسن،" علم الاجتماع دراسة نظامية"، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧٦.
٣- إحسان محمد الحسن، "علم الاجتماع السياسي"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص٢٠٩.
٤- إحسان محمد الحسن، " الأوليات التاريخية لأهتمامات العرب بعلم الاجتماع"، مجلة المورد، العدد الثالث، ١٩٨٦، ص ٧١ و ٩٥.
٥- إحسان محمد الحسن، " علم الاجتماع دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية"، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص٦٨.
٦- إحسان محمد الحسن،" الجذور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب، المورد ، العدد الثاني، ١٩٨٨، ص ٧٤-٧٥.
٧- احمد بدر ،" أصول البحث الاجتماعي ومناهجه "، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.
٨- احمد الخشاب ،" التفكير الاجتماعي"، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٠.
٩- احمد فريد الرفاعي،" الغزالي"، ج١، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، ١٩٥٤، ص٢٧٥-٢٨٠.
١٠- انطونيوس كرم، " العرب امام تحديات التكنولوجيا"، مطبعة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢.
١١- ثريا عبد الفتاح ملحس،" منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١.
١٢- حامد عبد السلام زهران، " علم النفس الاجتماعي"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
١٣- حسن الساعاتي، " المنهج العلمي في مقدمة ابن خلدون"، أعمال مهرجان ابن خلدون ، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٢، ص ٢٠٤-٢٠٥.
١٤- خليل ياسين،" منطق البحث العلمي"، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧٤.
١٥- ديولوب فان دالين،" مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٩.
١٦- رشيد عبدالله الجميلي،" دراسات في تاريخ الخلافة العباسية"، مطبعة المعرفة، الرباط، ١٩٨٤، ص٢١٠-٢١٥.
١٧- رودني سكينجر،" البحث التربوي أصوله ومناهجه"، ترجمة محمد النجيحي ومحمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٧٤.

١٨- زيدان عبد الباقي ،" التفكير الاجتماعي نشأته وتطوره "، مطبعة دار النشر الثقافية ، القاهرة، ١٩٧٢، ص٨١.
١٩- سعيد يعرب فهمي، " طرق البحث"، مطبعة الحكومة، بغداد ، ١٩٧٣.
٢٠- صلاح مصطفى الفوال، " مناهج البحث في العلوم الاجتماعية "، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٢.
٢١- صفوان خلف التل، " العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية"، اتحاد الجامعات العربية، عمان، ١٩٨٥.
٢٢- عبدالباسط محمد حسن،" أصول البحث الاجتماعي"، مكتبة ألا نجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١.
٢٣- عبد الجبار توفيق البياتي، ورؤوف عبد الرزاق،" مبادئ البحث التربوي لمعاهد المعلمين "، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٧٨.
٢٤- عبد الجليل الزوبعي، ومحمد احمد الغنام، " مناهج البحث في التربية"، ج١ ، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨١، ص٢٠٦.
٢٥- عبد الرحمن أبن خلدون،" المقدمة"، دار القلم ، بيروت، ص٩-١٢.
٢٦- عبد الرحمن أبن خلدون،" المقدمة"، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ج٢، ط١، لجنة البيان العربي، ١٩٥٨، ص٤٧٩.
٢٧- عبد الرحمن بدوي، " مناهج البحث العلمي"، دار القلم، بيروت، ١٩٧٧.
٢٨- عبد العزيز عزت، " تطور المجتمع البشري عند ابن خلدون، القاهرة، ١٩٦٢ .
٢٩- عبد الهادي الجوهري،" قاموس علم الاجتماع" ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣، ص٢٢٥.
٣٠- علي جواد الطاهر،" مناهج البحث الأدبي"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.
٣١- علي عبد الواحد وافي، " عبقرية ابن خلدون"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣، ص١٠٠-١١٥.
٣٢- عمر فروخ،" تاريخ الفكر العربي حتى أيام ابن خلدون "، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٢، ص٢٨٧-٢٨٩.
٣٣- عمر محمد التومي الشيباني،" مناهج البحث الاجتماعي"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.
٣٤- غريب محمد سيد احمد،" تاريخ الفكر الاجتماعي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٧٩، ص٨٢.
٣٥- فرانتز روزنتال،" مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي"، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦١.
٣٦- فرج موسى الربضي، وعلي مصطفى الشيخ،" مبادئ البحث التربوي" مكتبة الاقصى، عمان ، بدون سنة طبع، ص١٢.
٣٧- فليب حتي،" تاريخ العرب المطول"، ج١، ط٣، بيروت ١٩٦٩، ص٦٧٠-٦٨٠.
٣٨- فوزي غرايبة، " أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والنفسية"، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٧.
٣٩- محمد طلعت عيسى،" البحث الاجتماعي، مبادئه ومناهجه"، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٢ ، ١٩٦١، ص٢٢٩.

٤٠- محمد عاطف غيث،" تاريخ التفكير الاجتماعي"، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ١٩٨٧، ص٤٠-٤١.
٤١- محمد علي محمد،" تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩، ص٦٨.
٤٢- محمد مصطفى زيادة،" المقريزي المؤرخ الكبير "، مجلة العربي العدد الرابع عشر، ١٩٦٠ ، ص٢٨.
٤٣- محمود عبد المولى، " ابن خلدون وعلوم المنهج"، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧١.
٤٤- مصطفى غالب،" الفارابي "، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ١٩٧٩، ص٩.
٤٥- مصطفى فهمي ومحمد علي القطان،" علم النفس الاجتماعي "، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٧٧.
٤٦- ميشيل دينكن،" معجم علم الاجتماع"، ترجمة د. إحسان محمد الحسن، دار الطليعة العربية للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص١١٧.
٤٧- نادية حسن سالم، " أصالة أبن خلدون"، ندوة التراث الاجتماعي العربي، الخرطوم، ١٩٨٥، ص٩.

المصادر الأجنبية

(1) Abrams M. " Social Surveys and Social Action", Heine mann, London, 1951, P. 3.
(2) Evans- Pritchard, E. " Social Anthropology", Routledge paper back, London, 1967, PP. 69-70.
(3) Lehmann, I. William," Educational Research Reading", Winston, INC, 1971, P. 98.
(4) Moser, C. A. " Survey Methods In Social Investigation", Heine mann, London, 1967, P. 166.
(5) Radcliffe Brown, " A Structure and Function in Primitive Societies, London , 1950, PP. 30-80.